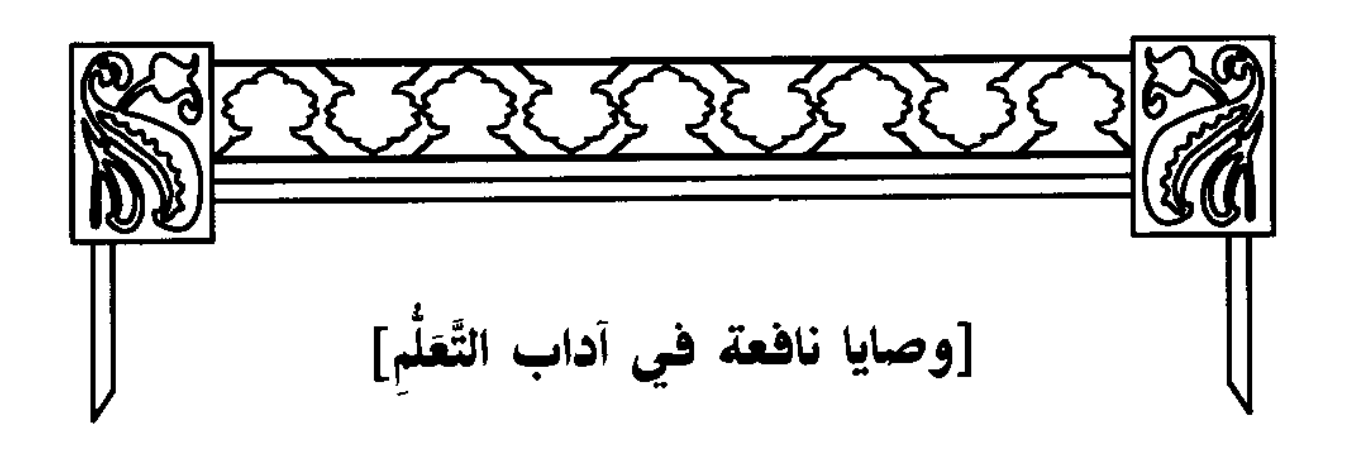


[وصايا نافعة في آداب التَّعَلُّمِ]

فَهَاكَ مِنِّي تُحْفَةَ الطُّلاَبِ ... عَرُوسَ بِكْرٍ زُفَّ لِلأَحْبَابِ
أُرْجُوزَةٌ لَطِيفَةٌ شَرِيفَهْ ... مِنْ قُدُسٍ أَنْوَارُهَا مُنِيفَهْ
بِنَشْرِ أَمْدَادٍ مِنَ الْقَبُولِ ... لِنَشْرِ إِسْنَادٍ مِنَ الْقَبُولِ
[مَرَبُّهَا] مِنْ شَرَفِ الْعِنَايَهْ ... مَهَبُّهَا مِنْ سُجُفِ الرِّعَايَهْ
نَظَمْتُهَا لِلآخِذِينَ عَنِّي ... وَبَعْضُهُمْ قَدْ اسْتَجَازَمِنِّي
فَقَدْ أَجَزْتُ كُلَّمَا ذَكَرْتُهْ ... لِكُلِّ رَاغِبٍ لَهُ عَلَّمْتُهْ
وَكُلُّ مَنْ قَدْ اسْتَجَازَ مِنِّي ... فِي الأَخْذِ وَالْعِلْمِ بِكُلِّ فَنِّ
وَكُلَّمَا أَلَّفْتُهُ فِي عِلْمِ ... أَوْ قُلْتُهُ فِي النَّثْرِ أَوْ فِي النَّظْمِ
فَلْيَرْوِ مَنْ شَاءَ عَلَى أَيِّ صِفَهْ ... إِجَازَةً فِيهَا التُّقَى وَالْمَعْرِفَهْ
بِشَرْطِهِ الْمَعْرُوفِ عِنْدَ أَهْلِهِ ... فِي أَخْذِهِ وَحِفْظِهِ وَبَذْلِهِ
رَوَى ابْنُ عَبْدِالْبَرِّ ذُو الإِرْشَادِ ... فِي جَامِعِ الْعِلْمِ بِلاَ إِسْنَادِ(١)
أُرجُوزَة تُعْجِبُ مَنْ رَآهَا ... إِلَى الإِمَامِ اللُّؤْلُؤِي عَزَاهَا
مَنْظُومَةً كَالْجَوْهَرِ الْمَكْنُونِ ... وَمِنْهُمْ مَنْ عَزَا إِلَى الْمَأْمُونِ

(١) يقول الحافظ ابن عبدالبر في (جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله) ص ١٧٧: «وأحسن ما رأيت في آداب التعلم والتفقه من النظم، وما ينسب إلى اللؤلؤي من الرجز، وبعضهم ينسبه إلى المأمون، وقد رأيت إراد ما ذكر من ذلك لحسنه، ولما رجوت من النفع به طالع كتابي هذا، نفعنا الله وإياه به».

أَوْرَدْتُهَا هُنَا لِحُسْنِ سَوْقِهَا لِلغَائِصِينَ فِي بِحَارِ ذَوْقِهَا
وَنَصُّهَا مِنْ بَعْدِ حَمْدِ اللَّهِ مُصَلِّياً عَلَى العَزِيزِ الجَاهِ
اعْلَمْ بِأَنَّ العِلْمَ بِالتَّعَلُّم وَالحِفْظِ وَالإِتْقَانِ وَالتَّفَهُّم
وَالعِلْمُ قَدْ يُرْزَقُهُ الصَّغِيرُ فِي سِنِّهِ وَيُحرَمُ الكَبِيرُ
فَإِنَّمَا المَرْءُ بِأَصْغَرَيْهِ لَيْسَ بِرِجْلَيْهِ وَلاَ يَدَيْهِ
لِسَانُهُ وَقَلْبُهُ المُرَكَّبُ فِي صَدْرِهِ وَذَاكَ خَلْقٌ عَجَبُ
وَالعِلْمُ بِالفَهْم وَبِالمُذَاكَرَهْ وَالدَّرْسِ وَالفِكْرَةِ وَالمُنَاظَرَهْ
فَرُبَّ إِنْسَانٍ يَنَالُ الحِفْظَا وَيُورِدُ النَّصَّ وَيَحْكِي اللَّفْظَا
وَمَالَهُ فِي غَيْرِهِ نَصِيبُ مِمَّا حَوَاهُ العَالِمُ الأَدِيبُ
وَرُبَّ ذِي حِرْصٍ شَدِيدِ الحُبِّ لِلعِلْم وَالذِّكْرِ بَلِيد القَلْبِ
مُعْجِزٌ فِي الحِفْظِ وَالرِّوَايَهْ لَيْسَتْ لَهُ عَمَّنْ رَوَى حِكَايَهْ
وَآخَرُ يُعْطَى بِالاجْتِهَادِ حِفْظاً لِمَا قَدْ جَاءَ فِي الإِسْنَادِ
يُفِيدُهُ بِالقَلْبِ لاَ بِنَاظِرِهْ لَيْسَ بِمُضْطَرٍ إِلَى قُمَاطِرِهْ
فَالتَمِسِ العِلْمَ وَأَجْمِلْ فِي الطَّلَبْ وَالعِلْمُ لاَ يَحْصُلُ إِلاَّ بِالأَدَبْ
الأَدَبُ النَّافِعُ حُسْنُ الصَّمْتِ فَفِي كَثِيرِ القَوْلِ بعضُ المقْتِ
فَكُن لِحُسْنِ الصَّمتِ مَا حَيِيتَا مُقَارِناً[1] تُحمَد مَا بَقِيتَا
وَإِنْ بَدَتْ بَيْنَ أُنَاسٍ مَسْأَلَهْ مَعْرُوفَةٌ فِي العِلْمِ أَوْ مُفْتَعَلَهْ
فَلاَ تَكُنْ إِلَى الجَوَابِ سَابِقَا حَتَى تَرَى غَيْرَكَ فِيهِ نَاطِقَا
فَكَمْ رَأَيتُ مِنْ عَجُولٍ سَابِقِ مِنْ غَيْرِ فَهْم بِالخَطَّاءِ نَاطِقِ
أَزْرَى بِهِ ذَلِكَ فِي المَجَالِسِ بَيْنَ ذَوِي الأَلْبَابِ وَالتَّنَافُسِ
الصَّمْتُ فَاعْلَمْ لَكَ حَقًّا أَزْيَنُ إِنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَكَ عِلْمٌ مُتْقَنُ
وَقُلْ إِذَا أَعْيَاكَ ذَاكَ الأَمْرُ مَا لِي بِمَا تَسْأَلُ عَلَيْهِ خُبْرُ
فَذَاكَ شَطْرُ العِلْمِ عِنْدَ العُلَمَا كَذَاكَ مَا زَالَتْ تَقُولُ الحُكَمَا

(١) في (جامع بيان العلم): ١٧٨ ـ مُقارِناً ـ.

إِيَّاكَ وَالعُجْبُ بِفَضْلِ رَأْيِكَ   وَاحْذَرْ جَوَابَ القَوْلِ مِنْ خُطَّائِكَ
كَمْ مِنْ جَوَابٍ أَعْقَبَ النَّدَامَةْ   فَاغْتَنِمِ الصَّمْتَ مَعَ السَّلاَمَةْ
العِلْمُ بَحْرٌ مُنْتَهَاهُ يَبْعُدُ   لَيْسَ لَهُ حَد إِلَيْهِ يُقْصَدُ
وَلَيْسَ كُلُّ العِلْمِ قَدْ حَوَيْتَهُ   أَجَلْ وَلاَ العُشْرُ وَلاَ أَحْصَيْتَهُ
وَمَا بَقِيَ مِنْهُ عَلَيْكَ أَكْثَرُ   مِمَّا عَلِمْتَ وَالجَوَادُ يَعْثُرُ
فَكُنْ لِمَا عَلِمْتَهُ مُسْتَفْهِمَا   وَإِنْ كُنْتَ لاَ تَفْهَمُ مِنْهُ الكَلِمَا
القَوْلُ قَوْلاَنِ فَقَوْلٌ تَعْلَمُهُ   وَآخَرُ تَسْمَعُهُ فَتَجْهَلُهُ
وَكُلُّ قَوْلٍ فَلَهُ جَوَابُ   يَجْمَعُهُ البَاطِلُ وَالصَّوَابُ
وَلِلْكَلاَمِ أَوَّلٌ وَآخِرُ   فَافْهَمْهُمَا وَالذِّهْنُ مِنْكَ حَاضِرُ
لاَ تَدْفَعِ القَوْلَ وَلاَ تَرُدَّهُ   حَتَّى يُودِيكَ إِلَى مَا بَعْدَهُ
فَرُبَّمَا أَعْيَى ذَوِي الفَضَائِلِ   جَوَابُ مَا يُلْقَى مِنَ المَسَائِلِ
فَيُمْسِكُوا بِالصَّمْتِ عَن جَوَابِهِ   عِنْدَ اعتِرَاضِ الشَّكِ فِي صَوَابِهِ
وَلَوْ يَكُونُ القَولُ عِنْدَ النَّاسِ   مِنْ فِضَّةٍ بِيضاً بِلاَ التِبَاسِ
إِذاً لَكَانَ الصَّمْتُ مِنْ عَيْنِ الذَّهَبِ   فَافْهَمْ هَدَاكَ اللَّهُ آدَابَ الطَّلَبِ
إِلَى هُنَا قَدِ انتَهَى المَنْقُولُ   فَاسْمَعْ هُدِيتَ الرُّشْدَ مَا أَقُولُ
العِلْمُ أَصْلُ الدِّينِ وَالإِحْسَانِ   طَرِيقُ كُلِّ الخَيْرِ وَالجِنَانِ
دَلَّ عَلَى تَفْضِيلِهِ البُرْهَانُ   وَسُنَّةُ النَّبِيِّ وَالقُرْآنُ
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَا   وَعُصْبَةٌ بِالعِلْمِ يَجْهَلُونَا
لاَ تَدْعُ إِلاَّ العُلَمَا أُنَاساً   لِغَيْرِهِمْ لاَ تَرْفَعَنَّ رَأْسَا
وَهُوَ مَعَ التُّقَى هُدَى وَنُورُ   وَهُوَ مَعَ الزَّيْغِ بَذَى وَبُورُ
فَالعِلْمُ إِنْ زَادَ وَلَم يَزْدَدْ هُدَى   صَاحِبُهُ لَمْ يَسْتَفِدْ إِلاَّ رَدَى
فَلاَ تُعَدُّ ذَاتُهُ فَضِيلَةْ   إِنْ لَمْ يَكُنْ إِلَى الهُدَى وَسِيلَةْ
فَإِنَّهُ كَالكَذِبِ وَالخَيَالِ   يَكُونُ عِنْدَ الخَلْقِ لِلأَعْمَالِ
فَحَقُّ أَهْلِ العِلْمِ صِدْقُ النِّيَّةْ   وَالاجْتِهَادُ فِي صَفَا الطَّوِيَّةْ
وَالجِدُّ فِي التَّقْوَى بِخَيْرِ سِيرَةٍ   لِيَسْتَقِرَّ العِلْمُ فِي البَصِيرَةِ

فَعِلْمُ ذِي الأَنْوَارِ فِي جَنَانِهِ وَعِلْمُ ذِي الأَوْزَارِ فِي لِسَانِهِ
وَإِنَّ عُنْوَانَ عُلُوم الدِّينِ فِي الصِّدْقِ وَالخَشْيَةِ وَاليَقِينِ
وَأَفْضَلُ العُلُومِ عِلْمٌ يَقْتَرِبْ بِهِ الفَتَى مِنْ رَبِّهِ فِيمَا يَجِبْ
فَلْيَبْذُلِ الجَهْدَ بِمَا يَزِيدُهُ نُورَ الهُدَى فِي كُلِّ مَا يُفِيدُهُ
وَبِالأَهَمِّ فَالأَهَمِّ يَنْتَقِي مِنْ كُلِّ فَنٍّ مَا يُفِيدُ مَا بَقِي
فَإِنَّ أَنْوَاعَ العُلُومِ تَخْتَلِطْ وَبَعْضُهَا بِشَرْطِ بَعْضٍ تَرْتَبِطْ
فَمَا حَوَى الغَايَاتِ فِي أَلْفِ سَنَهْ شَخْصٌ، فَخُذْ مِنْ كُلِّ فَنٍّ أَحْسَنَهْ
بِحِفْظِ مَتْنٍ جَامِعٍ لِلرَّاجِحِ تَحُلُّهُ عَلَى مُفِيدٍ نَاصِحِ
ثُمَّ مَعَ الفُرْصَةِ فَابْحَثْ عَنْهُ حَقِّقْ وَدَقِّقْ مَا اسْتَمِدَّ مِنْهُ
لَكِنَّ ذَاكَ بِاخْتِلاَفِ الفَهْمِ مُخْتَلِفٌ وَبِاخْتِلاَفِ العِلْمِ
فَالمُبْتَدِي وَالفَدْم لاَ يُطِيقُ بَحْثاً بِعِلْمٍ وَجْهُهُ دَقِيقُ
وَمَنْ يَكُنْ فِي فَهْمِهِ بَلاَدَهْ فَلْيَصْرِفِ الوَقْتَ إِلَى العِبَادَهْ
أَوْ غَيْرِهَا مِنْ كُلِّ ذِي ثَوَابِ وَلَوْ بِحُسْنِ القَصْدِ فِي الأَسْبَابِ
فَلْيَغْمُرِ العُمْرَ فَكُلُّ ذَرَّةٍ مِنْهُ رَخِيصَةٌ بِأَلْفِ دُرَّةِ
وَالعِلْمُ ذِكْرُ اللَّهِ فِي أَحْكَامِهِ عَلَى الوَرَى كَالشُّكْرِ فِي إِنْعَامِهِ(١)
فَذِكْرُهُ فِي الذَّاتِ وَالصِّفَاتِ كَالذِّكْرِ فِي الأَحْكَامِ وَالآيَاتِ
لَكِنَّ كَثِيراً غَفَلُوا بِالعِلْمِ وَحُكْمِهِ عَنْ رَبِّهِ ذِي الحُكْمِ
وَأَدْخَلُوا فِيهِ الجِدَالَ وَالمِرَا فَكَثُرَتْ آفَاتُهُ كَمَا تَرَى
فَصَارَ فِيهِمْ حَاجِباً لِنُورِهِ عَنْهُ فَمَا ذَاقُوا جَنَى مَأْثُورِهِ
فَهَلَكُوا بِقَسْوَةٍ وَكِبْرِ وَحَسَدٍ وَعُجْبٍ وَمَكْرِ
نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الخَبَالِ وَالعَوْدِ بَعْدَ الحَقِّ فِي الضَّلاَلِ
فَالذَّمُّ مِنْهُمْ لاَ مِنَ العُلُومِ فَإِنَّهَا مِنْ طَاعَةِ القَيُّومِ

---

(١) ورد قبل هذا البيت في النسخة التي اعتنى بها الشيخ نظام يعقوبي، قوله:
فَيَضْبِطُ الأَوْقَاتَ بِالمَوْقُوتِ مِنْ قَبْلِ سَبْقِ فِتْنَةٍ وَفَوْتِ

فَحَقُّ مَنْ يَخْشَى مَقَامَ رَبِّهِ أَنْ يَغْتَنِي بِعَيْنِ مَعْنَى قَلْبِهِ
وَلْيَجْتَهِدْ بِكُلِّ مَا فِي دِينِهِ يَزِيدُهُ بِالحَقِّ فِي يَقِينِهِ
وَأَنْ يُدِيمَ الذِّكْرَ بِالإِمْعَانِ وَالفِكْرَ فِيهِ فِي جَمِيعَ الشَّانِ
لِيَغْرِسَ التَّحْقِيقَ بِاليَقِينِ فِي قَلْبِهِ بِالحَقِّ وَالتَّمْكِينِ
حَتَّى يَكُونَ عِنْدَ مَوْتِ جِسْمِهِ حَيَّ الحِجَا بِنُورِهِ وَعِلْمِهِ
طُوبَى لِمَنْ طَابَ لَهُ فُؤَادُهُ بِالعِلْمِ وَالتَّقْوَى عَلَيْهِ زَادُهُ
فَسَارَ فِي الحَقِّ عَلَى طَرِيقَهْ بِالحَقِّ تَهْدِيهِ إِلَى الحَقِيقَهْ
عَلَى اتِّبَاعِ المُصْطَفَى مَبْنِيَّهْ فِي القَوْلِ وَالفِعْلِ وَعَقْدِ النِّيَّهْ
فَيَبْلُغُ القَصْدَ بِكُلِّ جُودِ بِبَرَكَاتِ أَحْمَدَ المَحْمُودِ
صَلَّى عَلَيْهِ رَبُّنَا وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَتَابِعِي أَحْوَالِهِ
مُسَلِّماً عَلَيْهِ بِالدَّوَامِ وَالحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى التَّمَامِ [١٢٨٢]

هذا آخر ما قصدت إيراده من نظم أسانيد الشيوخ رحمهم الله تعالى ونفعنا بهم. وفرغت من تبييضه إشراق يوم الجمعة المبارك ثالث محرم الحرام مفتتح شهور سنة ١١٩٥ بمنزلي بسويقة لالا بمصر.

وكتب محمد مرتضى الحسيني أبو الفيض لطف الله به، حامداً الله ومصلياً ومسلماً ومستغفراً ومحتسباً.

ونقله من خطه رضي الله عنه سلامة بن السيد محمد الأشبولي الحنفي الأزهري ـ غفر الله له ولوالديه ولمشايخه ولإخوانه.

آمين، والحمد لله رب العالمين

